الفصل السادس

العلاقات الانسانية ودورها في تعليم الكبار (*)

١ ـ معنى العلاقات الانسانية :

تستعمل كلمة العلاقات في كثير من الأغراض ، وتطلق على نواح كثيرة من الوان النشاط الانساني والاجتماعي فهناك العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية بين الدول ، وهناك العلاقات العاطفية والاجتماعية بين الأفراد وهناك العلاقات الانسانية وروابط المودة التي تسود بين فردين أو بين اعضاء الاسرة او الجماعة المعينة والتي تؤدى اذا كانت ايجابية الى تحقيق الأهداف كما تؤدى الى تعويق رسالة الجماعة وتعطيل الأدوار والوظائف التي ينبغي ان يقوم بها أفرادها وذلك اذا كانت سلبية ، وهذا النوع الأخير من العلاقات الانسانية وآثارها الايجابية والسلبية هو ما سوف نناقشه في الصفحات التالية .

٢ ـ نماذج من العلاقات التي تسود بعض الجماعات وبيان آثارها السلوكية :

لقد دلت الدراسات التي اجريت بقصد التعرف على العلاقات الانسانية التي تسود بين المعلمين والدارسين من المراهقين والشباب سواء داخل الصف اندراسي او خارجه اثناء النشاط الرياضي والاجتماعي والعلمي والفني ، وكذلك اثناء الحفلات الترفيهية والرحلات الكشفية والمعسكرات ونحوها ـ على وجود الوان ونماذج مختلفة من الروابط الانفعالية ومن اساليب المعاملة التي تسود بين المعلم ورائد الجماعة وبين الدارسين او اعضاء تلك الجماعة ، ودلت تلك الدراسات على ان هذه العلاقات الانسانية السائدة تؤثر على سلوك الجماعة ككل وعلى اهدافها وعلى درجة فاعليتها ونجاحها في تحقيق رسالتها وقيامها باداء دورها المطلوب ، كما وجد أنها تؤثر على سلوك الأفراد وعلى علاقاتهم الشخصية والاجتماعية خارج تلك الجماعة ؛ ومن نماذج تلك العلاقات ما يلي :

(أ) علاقة تتصف بدرجة عالية من الحب والخشية ، ويقوم المعلم او الرائد فيها بدور يشبه دور الأب الى حد كبير ، دور الأب الحازم الذى تقوم تصرفاته دائما على العقل والمنطق والذى يجمع في معاملته لابنائه

(*) للدكتور حامد الفقى .

بين العدل والرحمة . مثل هذا المعلم او الرائد يفوز فى اغلب الأحيان بحب طلابه او اعضاء الجماعة التى يقودها ، وهم من اجل ذلك يحاولون البعد عما يغضبه ويحرصون على الاحتفاظ بحبه .

اما الآثار السلوكية لهذا اللون من العلاقات الانسانية الإيجابية فقد وجد انها اصبحت نمطا سلوكيا لكثير من افراد الجماعة يتبعه فى تعامله مع الآخرين خارج الفصل او خارج الجماعة وهذا ما نسميه فى علم النفس بعملية التقمص او التوحد حيث يعجب الفرد بشخصية معينة او بمبدأ او سلوك معين فيتمثله او يتخذه المثل الأعلى له فى حياته وعلاقاته مع الآخرين.

(ب) علاقة تتسم بدرجة عالية من الحب ولكن دون خوف او خشية او مع درجة قليلة من هذه الخشية ، وقد لوحظ ان شخصية المعلم اوالرائد فى مثل هذه الجماعات شخصية جذابة ، وعلى حظ كبير من الذكاء والثقافة وسعة الأفق والتعاطف والديمقراطية فى القيادة ، ويعتمد التفاعل بين مثل هذا المعلم او الرائد وبين طلابه لكبار او اعضاء جماعته على اساس من الفهم والتفاهم المتبادل والادراك الواعى لأهداف الجماعة ، ورسالتها ومسئولياتها ، وعلى أخذ حاجات الأفراد ومشكلاتهم فى الاعتبار والمشاركة الايجابية فى هذه المشكلات .

اما الآثار السلوكية لهذا اللون من العلاقات الانسانية فهى ارتفاع درجة الترابط وازدياد الثقة المتبادلة والحرص على نجاح الجماعة وعلى تحقيق أهدافها ، وقد أصبحت هذه العلاقات نمطا سلوكيا لبعض افراد الجماعة على النحو الذى تقدمت الاشارة اليه .

(ج) علاقة تقوم على الخوف والرهبة فقط ، وليس فيها شىء من الحب ولا من الاحترام وقد وجد ان شخصية المعلم او الرائد فى مثل هذه الجماعات شخصية عدوانية تميل الى التسلط والسيطرة فهو يصدر الاوامر والتعليمات ويطلب من الدارسين او من افراد الجماعة أن ينفذوها دون مناقشة ودون ان يسركهم فى الأمر .

وتؤدى عدوانية المعلم أو الرائد وتسلطه الى أن يصبح الكثير من الدارسين عدوانيين بالنسبة لبعضهم البعض وبخاصة مع من دونهم أو أصغر منهم ، كما تؤدى مثل هذه العلاقات الى فقد الثقة بين المعلم والدارسين والى عدم الحرص على نجاح الجماعة فى تحقيق اهدافها ، ويفقد الكثيرون من افراد هذه الجماعة الشعور بالأمان كما يفقدون شعور الانتماء والولاء والاعتزاز بهذه الجماعة .

(د) علاقة قائمة على الكره الشديد وعلى الخوف والرهبة ، وقد لوحظ ان شخصية المعلم او الرائد فى مثل هذه الجماعات شخصية مؤذية تميل

الى تدبير الشر ، والى الايقاع بين الدارسين أو بين أفراد الجماعة ، ومثل هذه العلاقات نادرة الوجود فى الأوساط والمؤسسات التربوية كالمدارس والمعاهد العلمية ، ولكن يكثر وجودها فى المؤسسات الادارية والجماعات المكتبية التى قد يعمد الرئيس أو القائد فيها الى اشاعة الفرقة والخلافات بين مرءوسيه وتابعيه وذلك لكى يضمن عدم اتحادهم ضده ويسهل له بذلك السيطرة عليهم ، كما توجد مثل هذه العلاقة بين العصابات والجماعات الخارجة على القانون والتى لا يملك افرادها الا الطاعة المظهرية والا تعرضوا للايذاء والانتقام .

وتؤدى مثل هذه العلاقة الى آثار سلوكية ونفسية ضارة ، فقد تؤدى الى ان يتحد افراد الجماعة مع بعضهم سرا لتدبير المؤامرات أو تلفيق التهم ضد بعضهم البعض أو ضد الرئيس أو القائد او يحاولون حماية انفسهم بالانقضاض والعدوان وقد تؤدى الى نتائج سلبية ، فقد ينفس الدارسون عن ثورتهم المكبوتة ضد عدوانية المعلم وصرامته وقوته بأساليب سلبية مختلفة فيعتدون على المدرسة أو على اثاثها ، وقد ينفجرون فى وجه مدرس آخر برىء يعقب المدرس العدوانى وهذا ما يسمى فى علم النفس بالاسقاط .

(هـ) وهناك علاقات اخرى جانبية بعضها ايجابى وبعضها سلبى كشفت عنها الدراسات بين بعض افراد الجماعة أو بين البعض وبين شخصية المعلم أو الرائد ، فقد لوحظ انه اذا كانت شخصية المعلم أو المعلمة جذابة أو كانت المدرسة على جانب من الجمال والأنوثة وتعمل مع افراد من الجنس الآخر أو كان المعلم شابا وجيها يعمل فى مدرسة بنات ـ فان علاقات عاطفية تنشأ من طرف واحد غالبا بين بعض الدارسين أو الدارسات وبين هذه الشخصية. وقد تحدث بين المدرسين والمدرسات اذا وجد الجنسان فى عمل مشترك ، وقو يؤدى مثل هذه العلاقات الى بعض السلبيات ، والى شيوع عوامل الغيرة والوشاية ، والى كثرة الاتهامات ، ويحتاج من يتعرض الى مثل هذه المواقف الى درجة كبيرة من الموضوعية والحياد فى تعامله مع الدارسين أو الدارسات أو مع الزميلات .

وقد توجد جماعات جانبية صغيرة وسط الصف الدراسى او داخل الجماعة الكبيرة ، ويرجع السبب فى وجود مثل هذه الجماعات الجانبية أو الشلل الى اتفاق فى الأمزجة او الاهتمامات بين بعض الافراد او الى قيام أحد الافراد باشباع نزوات أو قضاء حاجات هؤلاء الافراد ومن ثم يلتفون حوله ويكونون جبهة . وقد تعطل مثل هذه الجماعات الجانبية او الشلل عمل الجماعة او تعرقل سيرها نحو الأهداف المرجوة .

وقد توجد جماعات جانبية ايجابية داخل الجماعات الكبيرة ، وغالبا ما يجمع افرادها مبدأ دينى او خلقى أو قيم اجتماعية فاضلة . ويغلب على

رواد مثل هذه الجماعات أن يكونوا دعاة أكثرمنهم الىان يكونوا عملاء كما فى المجموعات السابقة . واذا تخلت مثل هذه الجماعات الايجابية الجانبية الاخيرة عن التعصب والتزمت كانت لها آثار ايجابية على اهداف الجماعة ورسالتها .

٣ ـ ابعاد نمو العلاقات الانسانية بين الدارسين الكبار :

(أ) أن يفهم الدارسون الكبار معنى العمل فى جماعة وما تستلزمه عضوية هذه الجماعة من مسئوليات وضوابط وتضحيات الخ ..

(ب) ان يفهم الدارس الكبير عمل الجماعة واهدافها ، ودوره فيها مسئولياته نحوها .

(ج) أن تتيح جماعة الدارسين الكبار لكل فرد فيهم ان يعبر عن حاجاته . ومشكلاته وان ينتقد بطريقة ايجابية عمل الجماعة . كما تشجعه على المناقشة وعلى المبادرة والابتكار وتدربه على الاستقلال وعلى تحمل المسئولية داخل الجماعة .

(د) أن تعمل الجماعة على استثمار القدرات الخاصة والمواهب والاستعدادات المختلفة لدى الدارسين الكبار ، وعلى الاستفادة بما لديهم من خبرات وتجارب فنية او اجتماعية .

(هـ) ان تدرب الجماعة افرادها على المناقشة الجماعية والالتزام بمبادئها اثناء عقد الجلسات والمؤتمرات او داخل الفصل ، واهم هذه المبادىء : تقبل آراء الآخرين واحترام وجهة نظرهم وتقدير مشاعرهم وعدم الاستخفاف او السخرية ونحو ذلك من الأمور التى تؤدى الى انقسام الجماعة وتضيع جهودها ووقتها دون الوصول الى نتيجة ايجابية او الى قرار حاسم .

(و) واخيرا فان احساس الجماعة بنجاحها فى اداء رسالتها وتحقيق اهدافها وفى اشباع حاجات اعضائها واظهار مواهبهم وشخصياتهم من اهم العوامل التى تؤدى الى تقوية الروابط والعلاقات الانسانية بين افرادها .

طبيعة الوظائف القيادية :

القيادة فى علم النفس الاجتماعى عبارة عن ظاهرة اجتماعية نفسية تساعد على ظهور سمات معينة يتصف بها شخص ما فى موقف معين وسط جماعة معينة ذات أوضاع وصفات معينة وحجم معين وذات نظام واهداف

معينة ، والقيادة بهذا المعنى تختلف عما نعنيه فى هذا المقام ، وما نعنيه هنا هو القيادة الوظيفية ذات الوظائف المحـــددة والأدوار المعينة وبهذا المعنى الأخيرة فالمعلم ورائد المجموعة يعتبران من القادة التربويين • والقيادة بمعناها النفسى وبمعناها الوظيفى انواع : فهناك القيادة الديمقراطية والتى تقوم على المشاركة والشورى الجماعية فى ادارة الجماعة وفى تحمل المسؤوليات . وهناك القيادة الديكتاتورية المتسلطة او البيروقراطية الجامدة التى تتمركز فيها السلطة فى يد الفرد أو فى يد قلة من الأفراد الذين يحتلون مركـــز القيادة ، وتختلف القيادة الديمقراطية عن الأوتقراطية فى أن القائدالديمقراطى يشارك الجماعة فى الانشطة المختلفة ، فهو يشترك مع الجماعة فى تحديد الأدوار وفى توزيع المسئوليات وفى فهم الحاجات والمشكلات والأهداف ، كما انه لا ينعزل عن الجماعة ولا يستعلى عليها ، وانما يعمل على تحقيق التكامل بين دوره والأدوار الاخرى للجماعة بحيث لا يطغى على الجماعة ولا تطغى الجماعة عليه ولا يسلب احد سلطات أو ادوار او مسئوليات الآخرين .

اما القيادة غير الديمقراطية فتستولى على جميع السلطات او الأدوار وتتدخل فى كل صغيرة وكبيرة ولا تترك لأفراد الجماعة الفرصة لتحمل المسئولية ولا تعطيهم الحرية فى اتخاذ قرار ، ولا تدربهم على مواجهـــة المشكلات وحلها ، وانما يقوم الأعضـــاء بالتنفيذ الآلى للتعليمات والقوانين والقرارات التى تصدرها القيادة حتى وان لم يكونوا مقتنعين بجدواها بل ورغم اعتقادهم فى خطأ ما ينجزون .

ولا يتســـع المقام هنا لشرح الآثار النفسية والسلوكية والاجتماعية المترتبة على كل لون من الوان القيادات المختلفة ، ولعل فى النماذج التىسبق تقديمها من الوان العلاقات الانسانية وآثارها السلوكية ما يغنى عن التكرار.

أما القيادة التربوية التى ينبغى أن توجد فى المدرسة او فى فصول الدارسين الكبار فهى القيادة الديمقراطية ، ولا بديل عنها ، وعلى معـــلم الكبار أن يمارس هذه القيادة الديمقراطية فى تعامله مع الكبار ممارســـة فعلية وليست نظرية فالعمل مع هؤلاء الكبار ينبغى أن يقوم على المشاركة الجماعية ، وما قامت فكرة اعمال الجماعات ، وتقسيم الدارسين الكبار الى مجموعات عمل الا لتدريبهم على الديمقراطية والمشاركة والتعاون فى سبيل تحقيق أهداف الجماعة ، وتعتبر القيادة او الريادة الديمقراطية فى التعليم بصفة عامة وفى تعليم الكبار بصفة خاصة ضرورة اجتماعية وقومية اذ ان الهدف الأساسى فى اى عملية تعليمية هو اعداد المواطن الحر المستقل الذى يستطيع ان يتحمل مسئولية القيادة فى المستقبل ويستطيع أن يتعـاون مع غيره من افراد المجتمع فى سبيل تحقيق الأهداف الاجتماعية العامة والفردية الخاصة ، ولا يمكن للقيادة التسلطية او البيروقراطية ان تخلق مثل هـذه

الشخصيات ولكن القيادة الديمقراطية هى التى تستطيع تحقيق ذلك حيث انها توفر جوا من التنافس الحر الايجابى ، وتقوم على الاتصال المفتوح وتعتمد على الشورى وعلى المناقشة الجماعية وعلى الحوار البناء والنقد الهادف . وهذه هى الأسس النفسية الضرورية لتكوين الشخصيات التى لا تعانى من التردد والقلق والشك أو فقدان الثقة ، والتى يمكن أن تتخلص من السلبية والانطوائية والعدائية التى تسببها القيادة التسلطية هذا فضلا عن أن العلاقات الانسانية التى تقوم على الديمقراطية تحقق النمو السليم للافراد نفسيا واجتماعيا .

وقد تبدو الوظائف القيادية متعارضة فى الظاهر ، اذ ان هناك مطلبين اساسيين يواجهان القائد التربوى معلما كان أو رائدا أو غيرهما :

الأول ـ مطلب عملى يتمثل فى ضرورة انجاز الأهداف العملية والادارية وضبط الجماعة ، وتنفيذ الخطة وأداء الأدوار والمسئوليات المحددة .

الثانى ـ مطلب نفس اجتماعى يتمثل فى العمل على اشباع حاجات الأفراد او الدارسين وحل مشكلاتهم . وتوفير الرعاية لهم جسميا واجتماعيا واقتصاديا ؛ وتحقيق النمو لهم تربويا ومهنيا .

ويهدف المطلب الأول الى انجاز الخطة وتحقيق المنهج والوصول الى نتائج مادية ملموسة ، كما يهدف المطلب الثانى الى تحقيق تماسك الجماعة ووحدتها وعدم تسرب أفرادها وعدم سلبيتهم .

والمطلبان قد يبدوان فى الظاهر متعارضين ؛ ولكنهما فى الواقع متلازمان اذ ان نجاح الجماعة فى تحقيق الأهداف العلمية والمادية يساعد على تماسكها ووحدتها وتبادل الثقة بين أفرادها كما مرت الاشارة اليه . كما أن الاهتمام بأفراد الجماعة دارسين كانوا او عاملين ورعايتهم نفسيا واجتماعيا ضرورى لضمان حسن الاداء والايجابية فى الاقبال على العمل واداء الأدوار المحددة على الوجه الأكمل .

فالاهتمام بالمطلب النفسى والاجتماعى او بالمطلب الانسانى هو فى الحقيقة اهتمام بالمطلب العملى والمادى ولكن بطريقة غير مباشرة .

وقد يغلب على بعض المعلمين والرواد أو بعض القادة التربويين الاهتمام بأحد المطلبين دون الآخر ، فيهتم بعضهم بالنظام والضبط ، وزيادة الانتاج وتذليل العقبات التى تعوق اداء الجماعة لدورها وينصرف او ينشغل بذلك عن الاهتمام بالدارسين أو بأفراد الجماعة الذين يتوقف على سلامتهم

الجسمية والنفسية نجاح البرنامج او الخطة أو نجاحه هو كمعلم او رائد في تحقيق اهدافه .

وهناك طائفة اخرى من المعلمين أو القادة التربويين على العكس من الطائفة السابقة يعرفون معظم اهتمامهم الى النواحى الاجتماعية والنفسية للدارسين ويهتمون بمشكلاتهم وحاجاتهم ويعملون على تقوية الروابط الانسانية في داخل الصف أو الجماعة ، وينصرفون بسبب ذلك عن المطالب العملية وتنفيذ البرنامج وتحقيق الأهداف التحصيلية او التربوية أو المادية للجماعة وكلا الفريقين على خطأ .

وهناك كثير من الاسباب والعوامل التى تدفع المعلم أو الرائد التربوى الى تغليب احدى الفلسفتين على الأخرى ، وقد ترجع تلك الأسباب الى عوامل نفسية او الى اساليب التربية التى تعرض لها المعلمون أو الرواد فى طفولتهم أو اساليب المعاملة التى لاقوها من اساتذتهم أو رؤساتهم قبل ان يصبحوا قادة أو روادا ، وقد دلت الدراسات على ان الأشخاص الذين يغلب عليهم دافع حب الذات واحترامها هم الذين تغلب عليهم الفلسفة النفسية الاجتماعية والاهتمام بالنواحى الانسانية للدارسين أو المرؤوسين اما الأشخاص الذين تغلب عليهم الفلسفة العملية والاهتمام بمطالب العمل اوبتنفيذ البرنامج فهم من الذين يغلب عليهم دافع القوة والسيطرة ، وقد يكون اهتمامهم بالمشاكل العملية والتصدى لها تنفيسا عن دوافع العدوان المكبوتة أو مبالغة فى الاعتداد والثقة بالنفس .

اما القيادة التربوية المثالية فهى التى تحاول الجمع بين الفلسفتين ، وتقيم توازنا بين المطلبين ، وتسعى الى التوفيق بين مصلحة العمل وضبطه ونجاحه وبين صالح الأفراد وراحتهم بحيث لا يطغى احد الجانبين على الآخر ، والمعلم او الرائد المثالى هو الذى تكون استجابته المتعلقة بسير العمل وحل مشكلاته سريعة نشطة كما تكون استجابته المتعلقة بأعضاء الجماعة أو الصف الدراسى ومشكلاتهم استجابة تعاطفية وخاصة فيما يتعلق بظروفهم الصحية والنفسية .

وتغليب احدى الفلسفتين على الأخرى يؤثر فى حكم المعلم او الرائد على من يقوم بتقويمهم والحكم عليهم . فقد يتأثر بالفلسفة التى يؤمن بها او تغلب عليه وبالتالى يحكم على الأفراد الذين يؤمنون بفلسفته . بأنهم مثاليون . كما يجور فى الحكم على الأفراد الذين يختلفون معه فى هذه الفلسفة . وكذلك الحكم على المعلم او الرائد او تقويمه بواسطة من فوقه او من هم دونه قد يختلف ، فبينما هو فى نظر من فوقه معلم مثالى أو رائد مثالى لان من فوقه يتفق معه فى الفلسفة نجد انه فى نظر الدارسين او من هم دونه من المرؤوسين معلم صارم او قاس او مستبد وذلك لأن من دونه يهمهم فى المقام الأول أحوالهم النفسية والاجتماعية ومشكلاتهم وحاجاتهم الانسانية .

وهذه الحقيقة المتقدمة تستدعى الحيطة والموضوعية عند التصدى لعملية تقويم الأفراد والحكم عليهم ·

واخيرا نود ان نقرر انه ليست هناك علاقة معينة تصلح جميع الأفراد فى جميع المواقف او فى جميع المؤسسات أو الجماعات ، فهناك مؤسسات معينة غير تربوية وهناك افراد معينون وظروف معينة تستدعى لونا معينا من العلاقات ومن أساليب المعاملة .

خصائص العلاقات الانسانية الناجحة :

١ ـ ان تقوم على التقبل الايجابى غير المشروط .

٢ ـ الا يغلب الاهتمام بالجانب العملى على الجانب النفسى الاجتماعى.

٣ ـ ان يسود الفهم والتقبل والاحترام والثقة بين المعلم او الرائد وبين الأفراد .

٤ ـ ان يؤمن المعلم او الرائد بقيمة الدارس كشخص وبكرامته كانسان وان يتقبله لذاته فقط دون اعتبار آخر من جنس او دين او مدرسة او مذهب او منفعة او نحو ذلك .

٥ ـ ان تلتزم الجماعة بالأسلوب الديمقراطى فى العمل وبقواعد المناقشة الجماعية واساليبها .

٦ ـ ان يسمح جو الجماعة بنمو الأفراد نفسيا ومهنيا وعلميا واجتماعيا بدرجة تحقق لهم الاستقلال الذاتى والتدريب على تحمل المسئوليات ·